المبحث الرابع عشر

أخبار الغيب في القرآن الكريم

المبحث الرابع عشر

أخبار الغيب في القرآن الكريم

وفي هذا الوجه مبحثين:

1) أخبار القرآن عن الأمم السالفة:

إن حوادث التاريخ ليست وقفاً على أحد من الناس دون أحد، فقد يتناقل أجيال من الناس حادثة معينة، خبراً له شأن أو قصة عجيبة، أو حادثة ذات أثر، ولكن الذي جاء في كتاب الله تبارك وتعالى ليس من هذا القبيل فأخبار الأمم في القرآن الكريم جاء بها النبي (ﷺ) من عند الله وهو أمي باتفاق محبيه ومبغضيه، أوليائه وأعدائه وأصحابه وخصومه، لم يقرأ كتب الأولين، ولم يجلس لمعلم يقصص عليهم قصصه قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1] ثم إن الأخبار التي جاءت في كتاب الله تعالى، وجاء بها القرآن الكريم كان بعضها حديثاً عن أهل الكتاب، وبعضها عن غيرهم.

أما أخباره عن أهل الكتاب فكان منها ما لم يعرفه أهل الكتاب أنفسهم وكان منها ما عرفوه ولكن على غير حقيقته، فجاء القرآن الكريم ليصحح لهم هذه المعرفة، ويبين لهم وجه الحق، ويدلهم على وجه الصواب.[2] وأما ما كان حديثاً عن غير أهل الكتاب، فكان بعضه عن العرب الأولين، وبعضه الآخر عن غيرهم، هذا وذاك كان كثير منه جديداً على العرب، لم يستمعوا إليه إلا من القرآن الكريم، وكان بعضه الآخر مما كانوا يعرفونه معرفة غير سليمة، فجاء كتاب الله تبارك وتعالى يجلي لنا

(1) سورة العنكبوت الآيات:48-49.
(2) يُنْظَرْ:إعجاز القرآن الكريم فضل عباس:98.

الحق في هذه الأخبار كلها يقول الله تعالى بعد أن بين قصة نوح عليه السلام في سورة هود ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [1] فإن ما جاء في القرآن الكريم، وبخاصة أخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كان من أعظم الأدلة على صدق الوحي – وصدق النبي (صلى الله عليه وسلم) لأنه لم يكن فيه ما يشين هذه الصفوة المختارة مما لا يليق بمكانتهم قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [2].

2- إخبار القرآن بأمور من غيب المستقبل:لقد جاء القرآن الكريم بكثير من الآيات التي تنبئ عن أمور لم تكن قد وقعت كما أخبر القرآن عنها لم يتخلف منها خبر من ذلك:

أ- قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [3] ولقد كان ما أخبر عنه القرآن الكريم.

ب- وعد الله أن يحفظ هذا القرآن الكريم من أن يطرأ عليه أي تغيير يناله أو تبديل فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [4].

جـ- ما أخبر القرآن الكريم من نصرة نبيه (ﷺ) ونصر المؤمنين، وتمكين دينهم لهم، واستخلافهم في الأرض وتبديل خوفهم أمناً فقال سبحانه: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [5]

(1) سورة الاية هود:49.
(2) سورة يوسف الاية:111.
(3) سورة آل عمران الاية:12.
(4) سورة الحجر الاية:9.
(5) سورة النور: من الآية55.

د- ما أخبر الله به في هذا القرآن من كشوف في آفاق هذا الكون، وآفاق النفوس البشرية قال سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1] هذا بعض أنباء الغيب في كتاب الله تبارك وتعالى، ولقد تحقق كل ما أنبأ عنه القرآن الكريم[2] ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾.[3]

القيمة التاريخية لقصص القرآن:

يُجمع كل الباحثين على أن القرآن هو أول وثيقة، لمعرفة أحداث الجزيرة العربية وأوضاعها في صدر الإسلام إلا ويضع القرآن أول مستند لدراسته وجمع معلوماته، مهما كانت عقيدة هذا الباحث في مصدر القرآن وجوهره.

إذن.... كيف يُجمِّع الباحث المؤرخ معلوماته عن الجزيرة على ضوء القرآن وأبحاثه؛ حتى إذا وقف أمام أخباره عن الأمم الماضية وأحداثها ناقض نفسه قائلاً: إن هذه الأخبار يعوزها السند التاريخي والميزان العلمي الصحيح؟!.

سَلْ جميع مؤرخي الشرق والغرب عن أول مصدر يعتمدون عليه في ما لهم من معلومات عن المسيح عليه الصلاة والسلام وعن موسى وخروجه من مصر واجتيازه (تيه سيناء) إلى فلسطين يجيبوك إنه: الكتب المقدسة.

أفتكون هذه الكتب مصدراً تاريخياً علمياً نزيهاً، ثم لا يكون القرآن واحداً من هذه المصادر على الأقل؟!...

(1) سورة فصلت: من الآية53.
(2) سورة الإسراء الاية:105.
(3) يُنْظَرْ:من روائع القران ، محمد سعيد رمضان226.

إن الأمر في هذا يعود إلى واحد من اثنتين:-

إمّا أن تؤمن بأن القرآن ليس أكذوبة سجّلها محمد (ﷺ) على ربّه عز وجل وإنما هو كلام الله ووحيه إليه، بلّغه إلى الناس بصدق وأمانة.

وعندئذ فان التاريخ هو الذي يستمد من حديث القرآن وأخباره وليس العكس، وليس لك من سبيل إلى الشك بأي حرف منه.

وإما أنك لا تؤمن به كلاماً من عند الله عز وجل، مهما قامت أمامك الأدلة والبراهين، وعندئذ نقول لك:- لقد دلّ التاريخ بعمومه ودلّت السيرة النبوية بخصوصها، على أن ما جاء به القرآن من أخبار الأمم البائدة كان شيئاً يجهله العرب جهلاً تاماً، وإنما كان يعلم بعضاً منه أهل الكتاب الذين درسوا التوراة والإنجيل.

وقد كان اليهود هم الذين يُساكنون العرب في جزيرتهم، وكانوا –كما هو معلوم- ضنينين بما عندهم من هذه المعلومات، ولم يكونوا يبوحون بها إلى غيرهم بأي شكل ولأي سبب.

وهذه الحقيقة التي لا ينكرها أيّ مثقف منصف، هي التي كوّنت معنى الإعجاز في القصص القرآني، فقد كان الرسول (ﷺ) أمياً لم يقرأ كتاباً ولا خطه بيمينه ولم يدرس أو يتردد على واحد من أهل الكتاب.

ولا ينبغي أن تلتبس عليك حقيقة القصة القرآنية بالأمثلة التي يضربها على سبيل التقريب والتشبيه، فلكل منهما أسلوبه المتميز وليس في الناس من يجهل الفرق بين مثلٍ يضرب به، وقصة تروى وتنقل. نقول هذا ونحن نعلم أن في الناس من يتجاهلون الفرق ويغمضون أعينهم عمداً، ثم يذهبون يقررون أن القصة في القرآن ليست أكثر من أمثلة تُضرب.

أن من آمن بأن القرآن وحي من عند الله، علم بذلك أن القصة القرآنية هي موضع القطع الذي لا يلحقه أي ريب، ومن لم يؤمن بذلك، أدرك هذه الحقيقة نفسها إذا ما تأمل في مصادره السيرة والتاريخ وعلاقة القرآن بالكتب السماوية السابقة.

أما من أشتهى إن لا يدرك هذه الحقيقة، فليس أمامه إلى ذلك إلا سبيل واحد، هو أن يدعي أن القرآن يكذب!.. وذلك لأن القرآن يقول عن كل ما رواه من الأخبار والقصص ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [1] أما نحن فنقول: صدق رب العالمين.[2]

(1) سورة يوسف: من الآية111.
(2) يُنْظَرْ:من روائع القران ، محمد سعيد رمضان226